

الفصل الثاني

جمع القرآن الكريم وكتابته وحفظه

أولاً: كيف نزل الوحي بالقرآن الكريم؟:

نزل الوحي بالقرآن الكريم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين -، من قبل ألف وأربعمائة سنة بلسان عربي مبين، وتم نقله عنه - صلوات الله وسلامه عليه - نقلاً متواتراً بلا أدنى شبهة، بنفس النص الذي أوحى إليه، والذي تم تدوينه كتابة عقب الوحي مباشرة بكل آية أو مجموعة آيات منه، ثم تم ترتيبه في سورة بتوقيف من الله - تعالى - بنفس الترتيب الموجود اليوم بين دفتي المصحف الشريف (من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس»)، والممثل ببلايين النسخ من المصاحف التي خُطت، أو صورت، أو طبعت على مر العصور، والتي توارثها بلايين الحفاظ وسجلوها في الصدور جيلاً بعد جيل، من جيل الوحي المبارك حتى اليوم، وإلى أن يشاء الله - تعالى -، ومن ثم تم حفظه على مختلف صور الأشرطة والأسطوانات الممغنطة والمضغوطة، وعلى غير ذلك من مختلف صور الحفظ الحاسوبية المتعددة.

ثانياً: لماذا تعهد الله - سبحانه وتعالى - بحفظ القرآن الكريم؟:

تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظ القرآن الكريم حفظاً مطلقاً فقال - عز من قائل -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والسبب في هذا العهد الإلهي المطلق هو أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا على هذه الأرض حياة سوية، ولا أن يحقق رسالته في هذه الحياة الدنيا بنجاح دون هداية ربانية خاصة في الأمور التي يعلم ربنا - تبارك وتعالى - بعلمه المحيط

أن الإنسان عاجز عجزاً كاملاً عن الوصول فيها إلى أية تصورات صحيحة، وذلك من مثل قضايا: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات التي تشكل ركائز الدين.

وهذه الهداية الإلهية علمها ربنا - تبارك وتعالى - لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، ثم أوحاها إلى عدد كبير من أنبيائه ورسله الذين بعثهم إلى مختلف بقاع الأرض على فترات من الزمن كي يجدد بهم هذه الهداية الربانية التي أكملها وأتمها في وحيه الخاتم (القرآن الكريم)، ولذلك تعهد بحفظه تعهداً مطلقاً، فظل محفوظاً بحفظ الله في نفس لغة وحيه - اللغة العربية - على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله - تعالى - لأن سلسلة النبوات والرسالات قد ختمت ببعثة النبي والرسول الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم فكان لا بد من حفظ رسالته حتى يتحقق العدل الإلهي الموصوف بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ومن الثابت أن حفظ كل رسالة من الرسائل السماوية السابقة كان قد وُكِّل لأتباعها فضيّعوها، ومن هنا كان لا بد من إنزال رسالة خاتمة يحفظها الله - تعالى - بحفظه، وفي هذا يقول ربنا - عز من قائل -: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وهذه الآية الكريمة - وأمثالها في كتاب الله كثير - تؤكد على وحدة رسالة السماء. وعلى الأخوة بين الأنبياء وبين الناس جميعاً.

وانطلاقاً من وحدانية الله تعالى تتأكد حقيقة وحدة الدين، فكما أن الله - تعالى - واحد، فهدايته للبشرية لا بد وأن تكون واحدة، وهذه الهداية الربانية الواحدة اسمها الإسلام، وهو اسم مستمد من الأصلين العربيين (السلام) و(التلقيم) بمعنى الرضا بأوامر الله - تعالى -، والتلقيم لحكمه بمنتهى القبول

والسعادة، ولذلك كان الإسلام هو دعوة كل أنبياء الله ورسله، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

ويؤكد ربنا - تبارك وتعالى - هذا الحكم القاطع بقوله العزيز في نفس السورة: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. كذلك يؤكد ربنا ﷺ على هذه الحقيقة في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، وذلك من مثل قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

ثالثاً: القرآن الكريم يؤكد أن كل نبي وكل رسول بعث بالإسلام:

في العديد من الآيات يؤكد القرآن الكريم على أن جميع أنبياء الله ورسله بعثوا بالإسلام القائم على التوحيد الخالص لله - تعالى -، وعلى عبادته بما أمر، وعلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارته، وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. وفي ذلك نقرأ من كلام ربنا - تبارك وتعالى - الآيات القرآنية التالية:

- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا مِمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].
- ﴿فَلَمَّا قَسَمْنَا لَكَ الْغَدَاةَ مِنْ رَبِّكَ أَنَّكَ كُنتَ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٧ - ٣٩].
- ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾
[المائدة: ١١١].
 - ﴿وَجَوَازَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَكْتَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِيَتَكُونَ لِمَنْ حَلَفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].
- ومن هنا يُحْتَمُّ القرآن الكريم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر على كل مسلم ومسلمة، دون تمييز أو تفریق انطلاقاً من أمر ربنا - تبارك وتعالى - بقوله العزيز:
- ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ - لَا فَرْقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
[البقرة: ٢٨٥].

رابعاً: القرآن الكريم ناسخ لكل صور الوحي السابقة ومهيمن عليها:

سبق وأن ذكرنا أن آيات القرآن الكريم (البالغ عددها ٦٢٣٦ آية) نزلت منجمة (أي: متفرقة) على مدى ثلاث وعشرين سنة، وأنها كتبت كلها في حياة رسول الله ﷺ عقب الوحي بكل منها أو بكل مجموعة منها أو بكل سورة من سورها مباشرة، ثم رتبت تلك الآيات في مائة وأربع عشرة (١١٤) سورة، وسميت السور ورتبت بتوقيف من الله ﷻ الذي تعهد بحفظ آخر كتبه المنزلة فحفظه بنفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية)، بينما تعرضت الكتب السماوية السابقة كلها للضياع التام، وما بقي من ذكريات عن عدد قليل جداً منها ظل ينقل شفاهاً من الآباء للأبناء، ومن الأجداد للأحفاد لعدة قرون قبل البدء في تدوينها بأيدي مجهولين، ممن ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، وبلغات غير اللغات التي أوحيت بها مما أدى إلى تعرضها للتحريف والتبديل والتغيير. ولا تزال هذه الذكريات المنقولة شفاهاً عن عدد من صور الوحي السابقة تتعرض لذلك

التحريف إلى يومنا الراهن، لأن أصحابها لا يتعاملون معها كنص سماوي، بل على أنها كتابات من التراث الشعبي قابلة للتعديل والتبديل والتطوير، وللحذف والإضافة باستمرار. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله - تعالى - الذي أنزل مما نعلم من الكتب السماوية التي نؤمن بأصول كل منها - كلاً من: «صحف إبراهيم»، و«التوراة»، و«الزبور»، و«الإنجيل» و«القرآن الكريم» لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم أو الجديد»، أو «المانوسميري» أو «كتاب بوذا» أو غير ذلك من الكتب الموضوعية بأيدي نفر من الناس، سواء كانت لها علاقة بوحى سماوي سابق، أو لا علاقة لها البتة بأي من ذلك الوحي.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلى اليوم محفوظاً بحفظ الله - تعالى - في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، ولذلك ظل محتفظاً بصفاته الرباني، وإشراقته النورانية، والحق الإلهي الذي جاء به، فأصبح الكتاب الوحيد الذي يتعبد بتلاوته، والذي لا تصلح الصلاة إلا بقراءة فاتحته، والذي لا يُغني عنه في الصلاة شيء من الأحاديث أو الأدعية.

وفي التأكيد على أن الله - تعالى - هو الذي تولى جمع القرآن الكريم في قلب خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وأجراه على لسانه وبيّن له معانيه، والرسول يسمعه من جبريل عليه السلام ويجهد نفسه في متابعته حتى لا يتفلسف واحد منه نقرأ قول رب العالمين - تبارك وتعالى - له ﷺ أمراً إياه بالأمر الإلهي:

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَّ بِهٖ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ ۝﴾ [١٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

والوعد الإلهي بحفظ القرآن الكريم وعد مطلق، ولذلك حفظ هذا الكتاب الخالد على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وسوف يظل محفوظاً إلى ما شاء الله ليبقى شاهداً على الناس أجمعين حتى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للنبي والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة والرسالة.

خامساً: تحدى الله ﷻ للثقلين أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم وعجزهم عن ذلك:

تحدى ربنا - تبارك وتعالى - كلاً من الإنس والجن مجتمعين متظاهرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال - عز من قائل -: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يتقدم عاقل فيقول إنه استطاع أن يكتب شيئاً من مثل القرآن الكريم. كما رد ربنا - تبارك وتعالى - على كل من ادعى من المشركين أن الرسول ﷺ هو الذي كتب القرآن الكريم، وهو النبي الأمي الذي لم يكن يعرف القراءة والكتابة وذلك بقوله - تعالى - وقوله الحق:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِّثْلِهِ مَفْرَئِينَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

وتحدى الله - تعالى - العرب - على ما كانوا عليه من علم بأسرار العربية وأسباب الفصاحة والبلاغة وحسن البيان - أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن الكريم فيقول: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يتطوع عاقل مجابهته، على الرغم من مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على مجيء الوحي بالتنزيل.

وقد عجزت القدرات البشرية، ولا تزال عاجزة عن أن تداني كتاب الله في روعة بيانه، وجمال نظمه، وشمول علمه، أو في كمال صفاته، ودقة دلالاته، وصدق إنبائه، وسمو معانيه، وعدالة تشريعه، أو في مكارم الأخلاق التي يدعو إليها، وضوابط السلوك التي وضعها لتتطابق المصالح العامة والتامة لكل من الأفراد والمجتمعات؛ أو في سمو العقائد التي رسّخها، والعبادات التي شرعها، أو في كل من الحقائق التاريخية والإشارات العلمية التي أوردها، أو في نهجه

وصياغته، وتمام إحاطته بطبائع النفس الإنسانية، ودقة استعراضه لمسيرة البشرية، من لدن أبينا آدم ﷺ إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين - عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم - . وقد جاء القرآن الكريم في كل ذلك بنماذج منتقاة كدروس للبشرية في مجال تحقيق سنة الله بإهلاك الضالين من الكفار والمشركين والطغاة الباغين، المفسدين في الأرض ونجاة المؤمنين بالله، الموحدون لذاته، المنزهين لجلاله (عن الشريك، والشبيه، والمنازع، والصاحبة، والولد، وعن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله) والمجاهدين من أجل حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها.

سادساً: الله - تعالى - يمتدح القرآن الكريم:

يمتدح ربنا - تبارك وتعالى - هذا الكتاب المجيد في العديد من آياته التي نختر منها قوله الحق:

- ﴿الْعَرَبُ لَكِنَّا أَكْثَرُ أَلْفًا مِّنْ نَّاسٍ يَّحْسِبُونَ﴾ [البقرة: ١، ٢].
- ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ بِالْحَقِّ وَأَنَّكَ أَتَىٰ بِالسُّرُرِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].
- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].
- ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].
- ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ ءَابَتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].
- ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيضٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].
- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].
- ﴿فَأَسْمِسْكَ بِاللَّذَى أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

سابعاً: رسول الله ﷺ يمتدح القرآن الكريم:

- ويوجهنا رسول الله ﷺ إلى ضرورة مدارسة القرآن الكريم: وذلك بوصاياها العديدة التي نختار منها ما يلي:
- «ألا إن رحى الإيمان دائرة فدوروا مع كتاب الله حيث يدور، ألا إن السلطان والكتاب سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب...»^(١).
 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعربوا القرآن وأتمسوا غرائب»^(٢)، وإعراب القرآن الكريم يقصد به معرفة معانيه؛ والتماس غريبه أي: معرفة ما غمض من معانيه على قارئه.
 - وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا على مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن جبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات. أما إنني لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف ولام وميم»^(٣).

(١) أخرجه البزار في مسنده، والطبراني في المعجم الصغير.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدرکه.

● وعنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنة، فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه وكل به أربعة ملائكة يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة»^(١).

● وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف»^(٢).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة»، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [الجن: ١، ٢]، ومن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»^(٣).

● وعنه رضي الله عنه أنه قال: «فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَجْلُوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ»^(٤).

وقد أورد هذا الرسول الخاتم رضي الله عنه أحاديث كثيرة في فضل القرآن الكريم،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي والإمام أحمد.

(٤) رواه الإمام أحمد.

وبركات الاعتصام به، وفي الحث على تعلمه وحفظه وتعليمه، وعلى مداومة تلاوته وتفسيره، وتدبر معانيه، وفهم دلالات آياته، والمجاهدة من أجل العمل به، وتحقيق هدايته أمراً واقعاً في حياة المسلمين: أفراداً وأسراً ومجتمعات. كما حث رسول ﷺ على فضل الاستماع إلى القرآن الكريم، والانفعال بمعاني آياته إلى حد البكاء، تأثراً بكلام رب العالمين. مؤكداً أن هذا الكتاب الكريم، رفعة لحامله في الدنيا والآخرة، وله في ذلك ﷺ أقوال كثيرة نختار منها ما يلي:

- عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أهلين من الناس» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(١).
- وعن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة، ومن قرأ القرآن فأكملة وعمل بما فيه ألبس والديه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به»^(٢).
- وعنه - ﷺ - أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣).
- «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» «اقرأوا الزهراوين: سورتي البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما»^(٤).
- «اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» (أي المحرة)^(٥).
- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم القرآن

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه البخاري، والترمذي، وأبو داود.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه مسلم.

فاستظهره وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كانوا كلهم قد وجبت لهم النار»^(١).

• وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»^(٢).

• قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»^(٣).

• وقال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٤).

• وعن النواس بن سمعان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورتا البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما»^(٥).

• وقال - صلوات الله عليه وسلامه -: «أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فمكوا به، فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً»^(٦).

• «إذا ختم القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك»^(٧).

• «من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتب له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة»^(٨).

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) ابن أبي الدنيا، والبيهقي.

(٣) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والدارمي.

(٤) رواه الترمذي في سننه.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه الطبراني.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(٨) رواه الإمام أحمد.

● «من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين»^(١).

● ويروي رسول الله ﷺ عن الله - عز وجل - قوله الكريم:

«من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»^(٢).

وعلى هذا الفضل العظيم لتلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه يبقى تدبر معاني آياته، ومدارستها، والالتزام بما فيها من أوامر الله، واجتناب ما فيها من نواهيه، والدعوة إلى هذا الخير بين الناس بالكلمة الطيبة، والحجة الواضحة، والمنطق السوي، يبقى لذلك كله من الأجر ما يفوق أجر التلاوة. لذلك كان رسول الله ﷺ يوصي بتدبر معاني القرآن الكريم عند التلاوة، وكان - صلوات الله وسلامه عليه - يتوقف عند كل آية: «فكان إذا مر بآية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب استجار بالله وتعوذ من عذابه، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله تعالى سبح»^(٣).

وفي ذلك يروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله - تبارك وتعالى - يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٤).

من هنا كان حرص السلف الصالح على كتاب الله: حفظاً، وفهماً، وممارسة وتدبراً، وتطبيقاً عملياً في الحياة. فعن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه مسلم وأبو داود.

تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»^(١).

والذاكرة في الصغر: صافية، طاهرة، خالية من كل كدر، ومن هنا تكون قدرتها الهائلة على الحفظ بسهولة ويسر. والطفل المسلم إذا حفظ القرآن الكريم في الصغر فصح لسانه، وقوي بيانه، وطهر قلبه، وخشعت جوارحه، وتركزت معاني القرآن وقيمته النبيلة في ذاته، وترسخت في قلبه وعقله ركائز العقيدة الإسلامية السامية، ومن أبرزها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتنزيه الخالق العظيم ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، والإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء، وبين الناس أجمعين الذين ينتهي نسبهم إلى أب واحد هو نبي الله آدم ﷺ، وإلى أم واحدة هي أمنا حواء - عليها من الله الرضوان - وما أحوج الإنسانية المضطربة التائهة، الضائعة، المتصارعة اليوم إلى هذه القيم النبيلة.

وحفظ القرآن الكريم في الصغر يرسخ في قلوب وعقول حافظيه من حب لمكارم الأخلاق، ولجميل الصفات ما يطبعهم على الالتزام بها، ويرفعهم في معايير الدنيا والآخرة، ويفهمهم حقيقة رسالتهم في هذه الحياة: عبادة الله، مطالبين بعبادة ربهم بما أمر، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله فيها، وما أجل الاستقامة على منهج الله. .!!!

● والقرآن الكريم يحفظ حامله من كل مكروه، وهذا حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «ما من رجل يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله إلا بعث الله ملكاً يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب»^(٢).

● ويقول ﷺ: «من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه»^(٣).

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/١).

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه الإمام البخاري وغيره.

- ويقول: «لا حمد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل والنهار»^(١).
 - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنِّي بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).
 - ويقول - صلوات ربي وسلامه عليه - : «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ریح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ریح لها وطعمها مر»^(٣).
 - وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم بسورة «الإخلاص» فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء صنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»^(٤).
- وهذه الرواية على بساطتها تؤكد فضل تدبر القرآن الكريم وفهم دلالة آياته، لأن الله - تعالى - أنزله لنا نوراً وهداية في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة، ومنهجاً ربانياً تستقيم به حياة الناس، ولا تستقيم بغيره، ولذلك ألح رسول الله ﷺ على مداومة تلاوة القرآن الكريم، وتدبر معاني آياته، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، والاجتهاد في حفظه ومدارسته من كل جوانبه.
- وحذر - صلوات الله وسلامه عليه - من هجر القرآن الكريم، وشكا هاجريه إلى

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه البخاري، رقم: ٧٣٧٥.

رب العالمين، والتنزيل ينطق على لسانه الشريف بقول ربنا - تبارك وتعالى -:
 ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوِيَّ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

- وحذر رسول الله ﷺ كذلك من حرمان المسلم نفسه من بركات القرآن الكريم فقال: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»^(١).
- كما حذر - صلوات الله وسلامه عليه - من نسيان القرآن الكريم بعد حفظه فقال: «من حفظ القرآن ثم نسيه فليس منا»^(٢)، ولذلك أوصى بمعاودة القرآن باستمرار فقال: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها»^(٣).
- كذلك حذر ﷺ من التردد في تلاوة القرآن الكريم بحجة صعوبة ذلك على بعض المسلمين من غير الأصول العربية، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران»^(٤).

ثامناً: من فضائل القرآن الكريم:

(أ) إنه كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا الحفظ الإلهي تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى قيام الساعة بأنه كلام الله الخالق، وشاهداً بالنبوة وبالرسالة للنبي الخاتم الذي تلقاه، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ﷺ:

(١) رواه الترمذي، رقم: ٢٩١٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٩١).

(٤) رواه الإمام أحمد.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

[النحل: ٨٩].

والتعبير القرآني (تبياناً لكل شيء)، يعني كل شيء من أمور الدين بركائزه الأربع الأساسية: العقيدة، العبادة، الأخلاق، والمعاملات. ولو شاء الله - تعالى - أن يجعل القرآن الكريم تبياناً لكل شيء من أمور الدنيا أيضاً لكان هذا الكتاب العزيز مجلدات عديدة لا يمكن للفرد الواحد أن يتمه قراءة في عمره كله، فضلاً عن حفظ نصه، والعمل به. ودليلنا على ذلك أن الله - تعالى - لم يخبرنا في القرآن الكريم عن جميع أنبيائه ورسله وهم جمع غفير، واختار من قصصهم خمسة وعشرين فقط حتى تكون مدارسة قصصهم فرصة لاستخلاص العظة والعبرة، والاستفادة بالدرس.

(ب) إنه الكتاب السماوي الوحيد الذي تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظه فحفظ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وسوف يظل محفوظاً بحفظ الله - تعالى - إلى ما شاء الله لأن هذا الوعد الإلهي الذي لم يطلق لرسالة سابقة أبداً، هو وعد مطلق، بينما كان حفظ الرسالات السابقة كلها قد ترك لأتباعها فضيعوها، وهذه آيات القرآن الكريم تشهد على ذلك بقول ربنا - تبارك اسمه - وقوله الحق:

● ﴿فَنظَمُونُ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

● ﴿الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَدَعْنَا لِيَآءَ بِاللِّسَانِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

● ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَبِثَّتْهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ نَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

- ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

(ج) إنه كتاب معجز في كل أمر من أموره لأنه كلام الله الخالق البارئ المصور، فهو ليس بالشعر ولا بالنثر، ولكنه نمط فريد من الصياغة العربية لم تعرفه العرب من قبل، وعجزوا عن الإتيان بشيء من مثله وهم في قمة من الفصاحة والبلاغة وحسن البيان.

والإعجاز في القرآن الكريم (بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله) ليس مقصوراً على نظمه - كما يدعي البعض - لأنه ما من زاوية من الزوايا ينظر منها إنسان محايد إلى هذا الكتاب العزيز إلا ويجد منها جانباً من جوانب الإعجاز الذي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَنَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاقْرَأْ بِسُورَةِ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

- ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

(د) ومن جوانب الإعجاز في كتاب الله ما يلي:

- (١) الإعجاز اللغوي: الأدبي، البياني، البلاغي، النظمي، اللفظي، الدلالي.
- (٢) الإعجاز التشريعي: مثل الإعجاز في فقه الأسرة والمجتمع، وفقه

المعاملات، فقه السلوك، فقه المطاعم والمشروبات، فقه العقوبات، فقه القتال، فقه الولاء والبراء، وفي غيرها من أبواب الفقه.

(٣) الإعجاز الاعتقادي (إعجاز العقيدة): بمعنى فضل الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر على الكفر بكل ذلك؛ وفضل التوحيد الخالص على الشرك بالله، وفضل الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله على التحلق حول واحد منهم والمبالغة في تقديسه إلى حد عبادته من دون الله كما فعل كل من اليهود والنصارى.

(٤) الإعجاز التعبدى (إعجاز العبادة): بمعنى فضل صلاة المسلمين على صلوات غيرهم، وفضل نظام الزكاة عندهم على نظام الضرائب والمكوس عند غيرهم، وفضل صيامهم وحجهم على صيام غيرهم وحجهم.

(٥) الإعجاز الأخلاقي: بمعنى مواءمة الدستور الأخلاقي في القرآن الكريم للطبيعة البشرية بغير غلو ولا إقلال.

(٦) الإعجاز العلمي: بمعنى السبق بالإشارة إلى عدد من حقائق الوجود بدقة علمية مطلقة شملت الإنسان، والحيوان، والنبات، والكون ومكوناته، وظواهره.

(٧) الإعجاز التاريخي: بالإشارة الدقيقة إلى عدد من الوقائع التاريخية التي بدأت الاكتشافات الآثرية في إثبات صحتها.

(٨) الإعجاز التربوي: الذي يهتم بحسن بناء الإنسان الصالح، وليس فقط المواطن الناجح.

(٩) الإعجاز النفسي: الذي يهتم بمخاطبة النفس الإنسانية بما يرقى بها إلى معارج الله العليا كما لا يمكن أن يرقى بها خطاب سواه.

(١٠) الإعجاز الاقتصادي: من مثل ما جاء في تشريعات الزكاة، وفي تحريم التعامل بالربا، والأمر بكتابة كل من الدين والوصية والإشهاد عليهما.

والكارثة الاقتصادية التي عمت أهل الأرض جميعاً في أواخر سنة ٢٠٠٨م أنطقت غالبية الاقتصاديين من غير المسلمين بأن التشريعات المالية الإسلامية هي الحل للخروج من هذه الكارثة، مما أثبت فشل النظامين الوضعيين للاقتصاد: النظام الشيوعي الاشتراكي، والنظام الرأسمالي الديمقراطي، والحق ما شهدت به الأعداء.

(١١) الإعجاز الإداري: من مثل حسن التخطيط، والاستعانة بأهل الخبرة، وحسن توزيع الاختصاصات، والعدل بين المرؤوسين، واحترام الكبير، والعطف على الصغير، والمحافظة على الحقوق، والمساواة بين الناس، وتحريم تحكيم الأهواء الشخصية، والمحافظة على المصالح العامة وحسن الائتمان عليها.

(١٢) الإعجاز الإنبائي: من مثل الإخبار بعدد من الأحداث المستقبلية التي تحقق بعضها، ولا زلنا ننتظر تحقق البعض الآخر.

(١٣) الإعجاز الصوتي: من مثل إعجاز الجرس الصوتي في ختام كل آية من آيات القرآن الكريم.

(١٤) إعجاز الحفظ في نفس لغة الوحي (اللغة العربية): على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، والتعهد بذلك الحفظ إلى ما شاء الله.

(١٥) إعجاز التحدي للإنس والجن - فرادى ومجتمعين - أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم: في أسلوبه ومضمونه، ودقة كل أمر من أموره، دون أن يتمكنوا من ذلك، على الرغم من المحاولات العديدة التي بذلت في هذا السيل، وانتهت بالفشل الذريع.

(هـ) إنه الكتاب الوحيد المتضمن لدين الله الذي لا يرتضي ربنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه:

وذلك لأن الدين هو بيان من الله - تعالى - للإنسان في القضايا التي يعلم ربنا - تبارك اسمه - بعلمه المحيط أن الإنسان يعجز عجزاً كاملاً عن وضع أية

ضوابط صحيحة لنفسه فيها وذلك من مثل قضايا: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، وهي ركائز الدين، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

ويقول - ﷺ -: ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

(و) إنه الكتاب الوحيد الذي تكاملت فيه جميع الرسالات السماوية:

انطلاقاً من حقيقة أنه يأمر بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون أدنى تفريق بينهم لأن رسالات هؤلاء الرسل جميعاً كانت الإسلام، إلا أن أتباعها ضيعوها وحرفوا ما بقي من ذكراها ولذلك كذبوا الرسالة الخاتمة لأنها كشفت كفرهم بالله، وتحريفهم لرسالاته، وتناولوا على الرسول الخاتم ﷺ الذي أكد خروجهم على منهج الله - تعالى -، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤ - ٢٦].

(ز) إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد المحفوظ اليوم في نفس

لغة وحية: فقد أنزل بلسان عربي مبين، وحفظه الله - تعالى - في نفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية) وعلى ذلك فلا بد من فهم دلالة ألفاظه وتركيب جملته، وأساليب التعبير فيه في إطار هذه اللغة التي تعتبر أم اللغات كلها، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ إِذْ هُوَ عَجَمٌ وَمِنذَأ لِّسَانُ عَكَرْتُ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

● ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

- ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٧].
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَوْنَ أَوْ يُحَذِرُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣].
- ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْفَوْنَ ﴾ [الزمر: ٢٨].
- ﴿ كِتَابٌ فَصِّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣].
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].
- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣].
- ﴿ وَمَنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٢].

(ح) إن الآيات القرآنية المتعلقة بركائز الدين من: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات مصاغة صياغة شديدة الوضوح والإحكام حتى يفهمها كل إنسان - قلت ثقافته أم زادت - وإن كانت الحكمة من وراء كل أمر من هذه الأمور قد تحتاج إلى شيء من التفصيل. ومن أمثال ذلك قول ربنا - تبارك وتعالى -:

- ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].
- ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣].
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

(ط) إن الإشارات الكونية (المتعلقة بالكون ومكوناته وظواهره) في كتاب الله مُصاغة صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل في تكامل لا يعرف التضاد، وليس هذا لغير كلام الله، ومن هنا لا بد من توظيف الحقائق العلمية المتاحة في كل عصر من أجل فهم دلالة الآية القرآنية، وإثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد هائل من حقائق الكون، ومن هنا كانت الإشارات القرآنية الكثيرة التي تنبه إلى مستقبلية الكشف عن أعداد من الحقائق العلمية الثابتة التي لم تكن معروفة في زمن الوحي بكتاب الله، ولا لقرون طويلة بعد زمن الوحي، مما يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وذلك من مثل قوله - تعالى -:

- ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].
- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَائِنَهُ فَنَعَرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].
- ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦، ٨٧].
- ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

(ي) إن القرآن الكريم يجمع بين الدنيا والآخرة وبين عالمي الشهادة والغيب في معادلة واحدة، بينما أغلب الناس غارقون إلى آذانهم في عالم الشهادة (أي الدنيا الفانية) ولأهون عن الآخرة الباقية، حتى يفاجأ كل فرد منهم بالموت، ثم بالحشر والحساب والجزاء، وهو صفر اليدين من الحسنات، في حين أن الكون كله يسبح الله - تعالى - ويسجد له ويمجده ويقده، وفي ذلك يؤكد ربنا - تبارك وتعالى - هلاك الغافلين من عباده، المنبهرين بالكشوف العلمية والتقنية،

والغارقين في مادياتها، دون النظر إلى جوانب الحكمة فيها، والدلالة منها على خالقها وذلك بما ينطق به التنزيل فيقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وفي المقابل يؤكد القرآن الكريم أن كل ما في الوجود من الخلق غير المكلف يسجد لله - تعالى - سجوداً فطرياً، تسخيراً، لا اختيار له فيه، فيقول ربنا - عز من قائل -: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمُ الْغُذُوءُ وَالْأَصَالُ﴾ [الرعد: ١٥].

ويقول - وقوله الحق -: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وانسجام الإنسان مع الكون في الخضوع بالعبادة والتسبيح والطاعة للخالق - سبحانه وتعالى - له مردوداته الإيجابية على حياة الإنسان المادية والروحية على حدّ سواء .

(ك) في الوقت الذي تحاول الحضارة المادية المعاصرة رد كل سبب في الوجود إلى ما يسمونه الطبيعة، فإن القرآن يؤكد على أن الله - تعالى - هو واضع جميع السنن والقوانين التي تحكم كل صغيرة وكبيرة في الكون، وأن من وراء السنن هناك إرادة الله الغالبة المدبرة لكل أمر، ومشيته المطلقة الحاكمة لكل شيء، وفي ذلك يقول - وقوله الحق -:

● ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الفصص: ٦٨].

● ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

(ل) إن القرآن العظيم يكرم الإنسان ويفضله على كثير مما خلق الله تفضيلاً، في الوقت الذي ترده الحضارة المادية المعاصرة إلى الحيوانية المحضة فتصفه

بالحيوان الناطق أو الضاحك أو الاجتماعي وشتان ما بين الموقفين . وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ويقرر القرآن الكريم كذلك أن الإنسان - هذا المخلوق المكرم - هو صاحب إرادة حرة إذا استخدمها في طاعة الله وأخذ بالمنهج الذي وضعه له الله - تعالى - في هذه الحياة ارتفع بنفسه إلى أعلى درجات الكمال الإنساني، ليلحق بركب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين الذين يصفهم الحق - تبارك وتعالى - بقوله العزيز: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

(م) بينما تقوم الحضارات المادية كلها على أساس من العصبية العرقية، أو الاجتماعية أو الإقليمية الضيقة البغيضة، فإن القرآن الكريم يؤاخي بين الناس جميعاً لأنه يرددهم إلى أبوين كريمين هما آدم وحواء ﷺ وانطلاقاً من ذلك يؤاخي بين الناس جميعاً، وذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

● ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

● ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَعَمَّرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

● ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٦].

● ويقول الرسول ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب»^(١).

(ن) ويقر القرآن الكريم أن الإنسان إذا التزم بهذا المنهج الرباني ارتفع في معراج الله إلى أعلى عليين فيكون له أجر غير ممنون، وإذا انحرف عن منهج الله انحط إلى أسفل سافلين، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ - ٦].

(س) كذلك يقرر القرآن الكريم أن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الحياة وهذا هو ما جسده تاريخ البشرية إلى اليوم - ولذلك قال تعالى -:

● ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

● ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَتُسَكِّنَنَّكمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

(ع) إن القرآن الكريم هو الحق المطلق الوحيد المحفوظ بين أيدي الناس اليوم وهذا الحق هو قوام الوجود كله، فإذا التزم به العبد صلح أمره كله، وسعد في الدنيا ونجا في الآخرة، وإذا حاد عنه فسد في الدنيا وهلك في الآخرة، وتاريخ البشرية عبر الأربعة عشر قرناً الماضية شاهد على ذلك. والحق لا ينتصر لمجرد كونه حقاً، بل لا بد له من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات به، يدافعون عنه ويبدلون النفس والنفيس في سبيل تحقيق نصرته الحق وأهله، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

● ﴿الْمَرْءَ يَلِكُ ءَايَاتِ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

● ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّنْبُلُ زَيْدًا رَابِعًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرَدٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَكُونُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

﴿أَفَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤].

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤، ٥٥].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

(ف) لا بد للحق (ممثلاً في دين الله وهو الإسلام) أن يظهر، ولو بعد حين، ولا بد للباطل (ممثلاً في كل المعتقدات الوضعية) أن يزهق وتداول دولته مهما طال لها الأمد، وتاريخ الإنسان على سطح الأرض شاهد على ذلك، وفي ذلك يقول ربنا - جل شأنه -:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصُفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

- ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٠].
- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].
- ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].
- ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].
- ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْهِ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا أَنتَ بِمُكَيِّلٍ﴾ [الزمر: ٤١].
- ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].
- ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْوَلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَاتِيهِ يَوْمَئِذٍ يَوْمُونَ﴾ [الجاثية: ٦].
- ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].
- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].
- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

(ص) من فضائل القرآن الكريم أنه يعلمنا ضرورة الأخذ بالأسباب قدر

الطاقة، ثم الرضا بقضاء الله وقدره، اطمئناناً إلى رحمة الله وعدله وحكمته، ولذلك يعلمنا هذا الكتاب الخالد ألا نحكم على الأمور بظواهرها لأننا لا نعلم إلا الظاهر فقط، والباطن في علم الله ﷻ القائل:

- ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].
- ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(ق) إن القرآن المجيد يُعلم المسلم كيف يعيش في كنف الله ورعايته، مؤكداً على ألا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، ولذلك يقول ﷻ:

- ﴿أَمَّن يُحِبُّ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].

- ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].
- ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٨، ٢٦٩].

- ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

(ر) يؤكد القرآن الكريم على حقيقة الخلق، وعلى حتمية القيامة ثم البعث والحشر والحساب والجزاء بالخلود إما في الجنة أبداً أو في النار أبداً. والعلوم المكتبة تؤكد على أن الكون له بداية يحاول العلماء تقديرها. وكل ما له بداية لا بد وأنه ستكون له في يوم من الأيام نهاية. ويشهد على ذلك أن الشمس تفقد من

كثرتها في كل ثانية على هيئة طاقة ما يقدر بحوالي ٤,٦ مليون طن. ونحن نرى كل شيء في الوجود من الجمادات والأحياء يخلق ويموت، كما نرى الحرارة تنتقل من الأجسام الحارة كالنجوم، إلى الأجسام الباردة من مثل الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات حتى تتساوى درجات الحرارة فينتهي الكون إذا قدر له البقاء حتى يحدث ذلك، لأننا نحن معشر المسلمين نؤمن بأن الآخرة لن تتم بأي من سنن هذه الحياة الدنيا، ولكن بالأمر الإلهي: كن، فتكون. وحمية الرجوع إلى الله - تعالى - هي حقيقة الحقائق، ومن الطرق المؤدية إلى سلامة ذلك الرجوع حرص المسلم على الحياة حسب المنهج الذي وضعه الله ﷻ لعباده، وأنزله على عدد كبير من أنبيائه ورسله، وأكملة وأتمه وحفظه في رسالته - الخاتمة - التي أنزلها على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، وتعهد بحفظها تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله، ولذلك يخاطب القرآن الكريم هذا النبي الخاتم بقول ربنا - تبارك وتعالى - له:

● ﴿فَإِنْ لَّمْ يَمْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَفِيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

● ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لِنُشْهِدُونَ أَلَمْ مَعَ اللَّهُ ءَالِهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٩ - ٢١].

● ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

● ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

● ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِللْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْفَاسِقِينَ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّمَا فِي أُمِّ الْقُرْآنِ لِلدِّينِ لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١ - ٤].

﴿تَنْحُنُّ أَعْلَامُهُنَّ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ﴾ [ق: ٤٥].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

﴿الرَّحْمَنِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَذِهِ آيَاتُ الْيَوْمِ يُحْيُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَأَاهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٣ - ٣١].

(ش) إن القرآن الكريم نزل لنا لنفهمه، حتى نتمكن من تطبيقه تطبيقاً صحيحاً في حياتنا، ولذلك يحضنا ربنا - تبارك وتعالى - على تدبر آياته وفهم دالاتها وتطبيقها أمراً واقعاً في حياتنا فيقول - عز من قائل :-

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

رواه الإمام أحمد . (١)

ظهرو لهم لهم ألا تجافوا وانظروا ، ودلوا ولا مهتبا .
ما تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ولا بغيره ، وارتقوا وعزوا ، وما أداروا
لهم على عدو المأثمة يؤدو المأثمة من أجل الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها

والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها

والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها

والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها

والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها
والأجلا وسلويا ، وتطيقا عملا في الحاجة التي لا ريب في أنها

وهذه آيات القرآن الكريم تطرق أسماع الناس في كل حين أمرة بالتزام منهج الله، وإلا فلا نجاح، ولا فلاح، ولا نجاة إلا بتطبيقه دستوراً كاملاً شاملاً لحياة الناس أفراداً، وجماعات، ومجتمعات ودولاً وأمماً، ومن ذلك قول ربنا - وقوله الحق -:

- ﴿الذَّكْرِ ۝۱﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿البقرة: ١، ٢﴾.
- ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْبَغْ﴾ [الأنعام: ١٩].
- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].
- ﴿أَقْرَبَ الصَّلَاةِ لِلذَّكَرِ الشَّمْسِ إِلَى عَسْقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].
- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].
- ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١٠١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿النمل: ١، ٢﴾.
- ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩١ - ٩٣].
- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
- ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْسَلُ ﴿١﴾ فَرَأَيْتَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَبَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٤].

وقد حذر رسول الله ﷺ من رفع القرآن الكريم من الأرض، ومن خطر انتزاعه من القلوب في آخر الزمان، فمن رواية لعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: خرج رسول الله ﷺ علينا فقال: «أيها الناس! ما هذه الكتب التي تكتبون، أكتاب غير كتاب الله؟ يوشك أن يغضب الله لكتابه فلا يدع ورقاً ولا قلباً إلا أخذ منه» قلنا: يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ؟ قال ﷺ: «من أراد الله تعالى به خيراً أبقى في قلبه: لا إله إلا الله».

وانطلاقاً من ذلك كله كان اهتمام علماء المسلمين بكتاب الله الكريم فوضعوا له من العلوم ما ييسر فهمه، مثل العديد من كتب التفسير، وعلوم القراءات، وعلوم رسم القرآن، وتواريخ جمعه وكتابته، وفواتح سوره، والناسخ والمنسوخ منه، وأوجه الإعجاز المتعددة فيه، وإعرابه، وغرائب ألفاظه، والمحكم والمتشابه من آياته، والمجمل والمفصل منه، وقصصه، والمفرد والمكرر فيه، وغير ذلك من القضايا المتعلقة بهذا الكتاب العزيز. حتى وضعت في علوم القرآن تصانيف عديدة تقدر بعشرات العلوم التي لم أورد الخوض فيها هنا لأن لها مراجعها العديدة الخاصة بها.

ولما كانت ألفاظ القرآن الكريم دالة على معانيه، دلالة مأخوذة من دلالات اللغة العربية، فإن أغلب الآيات القرآنية لا تحتاج إلى التفسير، وإن اتضح ذلك بشكل جلي في الإشارات الكونية (أي التي تتحدث عن الكون ومكوناته وظواهره)، وهي في مجموعها تمثل سدس مجموع آيات القرآن الكريم.

وانطلاقاً من حقيقة أن علم الله المحيط بالطبيعة البشرية، وبمعارف الإنسان الجزئية ذات الطبيعة التراكمية، في كل المعارف المكتبة، شاءت إرادة الله - تعالى - أن تكون صياغة جميع الإشارات العلمية في القرآن الكريم صياغة معجزة، يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل ألفاظ الآية القرآنية الواحدة قادرة على الاتساع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد، حتى يبقى كلام الله مهيمناً على كلام البشر مهما اتسعت دوائره، وهذا عندي من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

فإن وجد في بعض ألفاظ القرآن الكريم ما قد يخفى مدلوله على أهل زماننا - وقد تفتت بيننا العجمة في زمن الفتن والتغريب الذي نعيشه - فإن هذه الألفاظ قد تم جمعها وتبويبها تحت ما يعرف باسم «غرائب القرآن الكريم» وقد عني بشرحها وبيان معانيها أئمة اللغة والتفسير في القديم والحديث كابن عبيدة، وابن دريد، والزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري، والراغب الأصفهاني، والسجستاني وأضرابهم في القديم، وكما فعل ذلك في زماننا كل من فضيلة الشيخ محمد حنين مخلوف، والشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمهما الله برحمته الواسعة).

تاسعاً: جمع القرآن الكريم وكتابه:

وردت لفظة (الجمع) بمعنى: (الحفظ مع دقة الترتيب) عدة مرات في كتاب الله وذلك من مثل قوله - تعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ لَهُ ۖ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

كما وردت لفظة (الجمع) بمعنى: (الكتابة والتدوين). والمعنى الأول آتاه الله - تعالى - لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ ولعدد غير قليل من صحابته الكرام وممن تابعهم من الصالحين إلى اليوم وحتى يوم الدين، وهؤلاء تدارسوا القرآن الكريم ولا يزالون يتدارسونه ويستظهرونه ليتمكنوا من القراءة به في الصلوات المكتوبة وفي النوافل وفي الاستشهاد. وأما جمع القرآن الكريم بمعنى تدوينه كتابة فقد مر بمراحل ثلاث على النحو التالي:

(١) جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ:

كان رسول الله ﷺ قد اتخذ عدداً من كتاب الوحي منهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - وكان منهم معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم، مما يجاوز عددهم الأربعين كاتباً، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم بكتابة كل ما ينزل عليه

من القرآن الكريم الذي كان يدون على رقاع من جلود الحيوانات وعظام أكتافها، أو صحائف الحجارة، أو جريد النخل، أو قطع الخشب.

وكان ترتيب الآيات في كل سورة ووضع البسملة في أول السورة، وترتيب السور من الأمور التوقيفية على أوامر من الله - تعالى - بواسطة الملك جبريل عليه السلام.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملي ما يوحى إليه من القرآن الكريم مباشرة على كتاب الوحي، ويأمرهم بترتيب الآيات حسب ما يوصيه به جبريل عليه السلام، وقد ثبت في سيرته الشريفة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ العديد من سور القرآن الكريم كاملة في الصلاة أو في خطب الجمع والعبيدين بنفس الترتيب الذي نجده في المصاحف اليوم، وكان ذلك على مسمع من آلاف الصحابة - عليهم رضوان الله - مما يؤكد على أن ترتيب الآيات في كل سورة، وترتيب السور كما نجده في القرآن الكريم كله هو أمر توقيفي. وكان - صلوات الله وسلامه عليه - ينهى عن (النكوص) في التلاوة، بمعنى: القراءة في الصلاة من سورة متأخرة قبل سورة متقدمة، مما يؤكد على أن ترتيب السور القرآنية هو أمر توقيفي.

وكان كل ما يكتب من آيات وسور القرآن الكريم بعد الوحي بها مباشرة يحفظ في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع استنساخ كُتَّاب الوحي نسخاً لأنفسهم من جميع ما أملي على كل منهم. وبذلك تم جمع القرآن الكريم كله كتابة وحفظاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) جمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - عرف العرب الورق فأمر خليفة رسول الله بنسخ هذه الرقاع في مصحف واحد على الورق، وكان ذلك بعد موقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة (١٢هـ) والتي استشهد فيها سبعون من حفظة القرآن الكريم من الصحابة، فهال ذلك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء إلى أبي بكر يقترح جمع القرآن وظل يراجع حتى

شرح الله - تعالى - صدره لذلك، فاستدعى أبو بكر كاتب الوحي الماهر بالقرآن زيد بن ثابت، وكان أمهر كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكلفه بجمع القرآن من الرقاع المحفوظة في بيت رسول الله ﷺ في مصحف واحد ظل في عهدة الخليفة الأول حتى توفاه الله، فانتقل المصحف إلى عهدة الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعند استشهاده انتقل إلى بيت أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها. وقد ظفر مصحف أبي بكر الصديق بإجماع الأمة لمطابقته لما كتب على عهد رسول الله ﷺ وما احتوته صدور الحفاظ.

(٣) جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

في أول خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه طلب من أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها أن ترسل إليه بنسخة المصحف الشريف الذي كان قد تم جمعه على عهد الخليفة الأول فأرسلته إليه. وعلى الفور أمر سيدنا عثمان كلاً من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بنسخ عدد من المصاحف من الأصل الذي أملاه رسول الله ﷺ على كتاب الوحي، ثم جمع على عهد سيدنا أبي بكر الصديق. وكان هؤلاء الأربعة من كبار الحفاظ لكتاب الله، وكان زيد بن ثابت من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان ذلك سنة خمس وعشرين هجرية. ثم رد الخليفة عثمان نسخة المصحف الأولى إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية بنسخة من المصاحف التي تمت كتابتها في عهده، من مثل مكة المكرمة، الكوفة، البصرة، بلاد الشام، اليمن، والبحرين، بالإضافة إلى المصحف الإمام الذي احتفظ به سيدنا عثمان رضي الله عنه في المدينة المنورة.

وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه يرسل مع كل نسخة من المصحف الشريف حافظاً يعلم الناس سلامة النطق بالقرآن الكريم، ورأى أن يحرق ما عدا ذلك من مصاحف كانت قد امتلأت بالشروح والتفاسير مما ليس من

القرآن في شيء حتى لا يختلف الملمون، ولم يقدم سيدنا عثمان على ذلك إلا بعد مشورة الصحابة الكرام والحصول على تأييدهم.

كذلك تمكن عدد من حفاظ القرآن الكريم من استنساخ نسخ لأنفسهم من المصحف الإمام، وكان منهم كل من عبد الله بن الزبير وأمهاة المؤمنين السيدات عائشة، وحفصة، وأم سلمة (رضي الله - تعالى - عنا وعنهم أجمعين).

ولما أعيد المصحف الشريف الذي تم جمعه على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها ظل عندها حتى توفاه الله، وقد حاول مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ) أن يأخذ منها تلك النسخة ليحرقها إجلالاً وتقديراً لكتاب الله، وكانت صفحاتها قد أخذت في الاهتراء، ولكنها أبت، ثم حصل عليها بعد وفاتها وقام بإحراقها لأن صفحاتها كانت قد أخذت في البلى والتهلهل.

ومن الثابت أن ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) قد رأى إحدى نسخ مصحف عثمان بالشام بعد منتصف القرن الثامن الهجري. وذكر أن هذا المصحف كان قد تم نقله من مدينة طبرية إلى دمشق في حدود سنة (٥١٨هـ / ١٢٤م) وأضاف بأن النسخة كانت مكتوبة بخط حسن، مبين، قوي، بحبر محكم، في رق يظن أنه من جلود الإبل.

من هذا الاستعراض الموجز يتضح أن حفظ القرآن الكريم قد تم بطريقة لم يحظ بها كتاب آخر في تاريخ البشرية كلها وذلك لأن الله - تعالى - هو الذي تعهد بحفظه قائلاً: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فوفق الله - تعالى - نفراً من عباده الصالحين ليقوموا بهذا الدور العظيم في ظل من الرعاية الإلهية التي حفظت لنا القرآن الكريم حفظاً كاملاً: حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة في نفس لغة الوحي (اللغة العربية) على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً. وتعهد ربنا - تبارك وتعالى - بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب

العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، وبذلك يبقى هذا الكتاب الخالد حجة الله - تعالى - على عباده وقد قال - وقوله الحق -: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وكذلك بقي القرآن الكريم الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمحفوظ بحفظ الله - تعالى - بين أيدي الناس على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية حتى اليوم، وسيبقى كذلك إلى أن يشاء الله - تعالى - الذي وصف محكم كتابه بقوله العزيز: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.